Copyright 2019 Tahawolat

معرض ألفريد بصبوص.. نحّات المشاعر–آداب وفنون

السفير – تسع سنوات على رحيل ألفريد بصبوص، ثاني نجوم النحت في راشانا، في معرض نستعيد فيه تجربة تنوعت بين التشخيص الواقعي والاشتغال على مساحة واسعة من التجريد، مثلما تنوعت بين المواد المختلفة، حجراً وخشباً وبرونزاً ورسماً، وفي كل منها كان يتحرك أفقياً، فلا يستقر على نوع حجر أو خشب أو حتى على نمط من أنماط التجسيم، فاتحاً خياله، متخطياً كل مرة نفسه، ومغرداً في فضاء فنيّ بقي علامة بارزة في تاريخ النحت في لبنان.

في المعرض الذي تقيمه غاليري مارك هاشم (وسط بيروت)، لغاية 10 آذار الجاري، ثلاثون عملاً قد تختصر نماذج من تجربته، بينها الحجرية والبرونزية، وتقابل بعضَها رسومٌ تخطيطية.

ولا نستطيع أن نتطلع إلى أعمال بصبوص من دون أن نستحضره وهو ملفحاً بغبار صخوره، أو متأنقاً ببذلته البيضاء، أو ضاجاً بضحكته، بل نافخاً أنفاس التأفف أحياناً، أو رافعاً لك كأس المحبة... لم يغب ألفريد بعد، حتى تحتل المكان أعماله وحدها، ولم نستطع أن نفصل قامته عن انتصاب أعماله في الصالة، ولا أن نفصل محبتنا له عن طبيعة إبداعه. فكل معرض جديد له في غيابه هو قبل أي شيء تحية إليه، يذكّرنا به، ويأخذنا إلى رحلته الفنية التي تعامل معها كأغنية حجر قبل أي شيء آخر... هو عزف على الحجر فغنى. لم يكن ينحت بإزميله فقط، بل بجسده كله، بكل أعصابه، وطاقته وبصره وبصيرته. غوايته أن يرى الغبار منعوفاً في الفضاء، لأنه يعرف أنه بعد ذلك سوف ينقشع عن جسد، وفي الغالب عن جسدين... وكم في المعرض نرى صدى جسدين، حبيبين، عاشقين، قد يجعلنا ألفريد تراهما بصراحة واضحة، أو يتركنا نتهجى معه انحناءات خطوطهما لنكتشف حضورهما المجرد. وإذا رأيناه مرة حسياً يسعى لجسد مغوٍ فهو مرات يسحبنا إلى روح الشكل، إلى تهويماته غير المحدودة، وإلى لعبه في مخيلة مشتعلة وولاّدة وخصبة، لا تقف عند حد أو تقتنع بنهايات.

مهما رأينا من أعمال برونزية وخشبية يبقى ألفريد بصبوص ابن الحجر لا الطين، كان يتنفس من غبار الحجر ويستنطقه، ويخترع لغة مشتركة معه، ولم يكن ليبتعد عن غيوم الغبار عندما كبر في السن، فهو كلما لامس إزميله الحجر شعر بأنه موجود، وحياته في راشانا كانت كلها بين التماثيل وحدائق النحت، ولم يكن مسكنه إلا منحوتة شكّلها بنفسه.

أجساد

الحديث عن معرضه الجديد هذا، هو حديث عنه وعن غالبية تجربته، عن تعامله مع الكتلة بابتعاد جليّ عن أي تنميط، حديث عن استلهام مروحة واسعة من حركة ثنائيات الغرام، التي تتداخل مرة في حركة احتضان رومنسي حيناً وجنسي حيناً آخر. يقفل الكتلة مرة ويفتحها أخرى، يجعلها ثقيلة يدور الفراغ حولها أو خفيفة رشيقة تتحرك

في الفراغ. هنا جسدان حجريان ملتصقان لا يدخل بينهما الهواء، وهناك جسدان برونزيان يلعبان كبهلوانيين بحركة تجعل البرونز حاراً. همّه دائماً أن ينحت الحركة قبل الجسد، أن يرينا الانسياب الجاف والمائي السائل، أو يرينا حركة الرقص والانعطافات السريعة. فالحركة عنده قبل الجسد، والمادة قبل تشكلها بين يديه، هي تقدمه حيناً، وهو يصطاد مفاجآتها حيناً آخر. نرى تلك المنحوتة المشغولة بحجر بركاني أسود، وتمثل واحداً من ثنائياته، وصدف أن الحجر خشن من جهة وناعم من أخرى، فتماهى مع خصوصيته فأوحى في الجانب الخشن من الحجر بذكورة عاشق، وفي الجانب الناعم بنعومة أنثى، في حركة احتضان سكنت الحجر فأحيته سنين طويلة.

علاقة بصبوص بالحجر متناغمة، فهو ينحته كأنما يروضه بحنان ليأخذه إلى مقاصده، من دون عنف، يتحدى نفسه ومخيلته أكثر مما يتحدى الحجر ويعانده. وإذا قدم تشكيلاً هندسياً رأيناه سرعان ما يتحرر منه منحرفاً مع هواه وتلقائياته وعفويته وارتجالاته غير المجانية. فمرة نرى انعطافاً حاداً مروّساً، ومرة أخرى نراه مكوراً وأنثوياً وعاطفياً

قد يطول الكلام على المعرض ، وعن صدى أعماله، لكن إذا أردنا أن نختصر الكلام نقول إننا في تجوالنا بين المنحوتات، لا بد من أن نرى أن ألفريد عندما كان يشتغل لم يكن يطمح إلى شيء سوى أنه ينحت مشاعره وحسّه المرهف وانفعالاته التي تفور وتهدأ مع غضب الغبار وهدأته.

أحمد بزون

02/03/2015

Copyright 2019 Tahawolat